Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 2 (2024) • P: 93 - 80
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Concealing the diacritical marks and its impact on the multiplicity of meaning in the Quran, with the" Bahr al-Muhit" as an example

Fareda Jmeaan Mahmood Alkrenawi

An-Najah National University | Nablus | Palestine

Received: 09/02/2024

Revised: 14/02/2024

Accepted: 24/02/2024

Published: 30/03/2024

* Corresponding author: fareda83@gmail.com

Citation: Alkrenawi, F. J. (2024). Concealing the diacritical marks and its impact on the multiplicity of meaning in the Quran, with the" Bahr al-Muhit" as an example. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 3*(2), 80 – 93.
https://doi.org/10.26389/AJSRP.F090224

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Summary This study pays attention to the hiddenness of the grammatical sign, and its impact on the multiplicity of grammatical aspects and meaning, in the Holy Qur'an, based on the interpretation of Al-Bahr Al-Muhit by Abu Hayyan which is considered one of the most important exegeses that delved deeply into the linguistic aspects of the Quranic text, distinct from mere interpretation and addressing the essence of the text. The significance of meaning was elevated in Abu Hayyān's interpretation in general, and his reliance on common linguistic elements in particular.

The grammatical mark in the books of grammatical thought is related to the factor theory. As it is closely related to it; The factor is the letter or verb and what is derived from it, and the verbal change is the difference in the movements that appear at the end of the speech. As for the discretionary change, it is the estimation of the movements in what does not appear in it for a purpose or an obstacle, such as impossibility or construction, the parsing of sentences, and some morphological symptoms,... and in this study we will The researcher explains this phenomenon, with some verses in the Holy Revelation, and how the absence of the grammatical mark in it contributed to making it a carrier of several grammatical aspects, by relying on the interpretation of Al-Bahr Al-Muhit by Abu Hayyan, and what was permitted among these aspects or what was rejected.

Keywords: invisibility of the grammatical sign, estimation, multiplicity of grammatical aspects, meaning, Abu Hayyan, the surrounding sea, weighting, refutation.

خفاء العلامة الإعرابيّة و أثره في تعدّد الأوجه الإعرابية في القرآن الكريم، البحر المحيط أنموذجًا

فريدة جميعان محمود القريناوي

جامعة النّجاح الوطنيّة| نابلس | فلسطين

المستخلص[1]: تعتني هذه الدراسة بخفاء العلامة الإعرابيّة، وأثر ذلك في تخلّق ظاهرة تعدّد الأوجه الإعرابيّة والمعنى، في القرآن الكريم، بالاعتماد على تفسير البحر المحيط لأبي حيّان، الّذي يُعدّ من أهمّ التفاسير الّتي تناولت النصّ القرآنيّ تناولًا لغويًّا عميقًا ينأى عن التأويل وليّ عنق النصّ، وقد كان للمعنى منزلة رفيعة في تفسير أبي حيان بعامةٍ، ووقوفه على المشترك النحويّ بخاصةٍ؛ إذ كان المعنى الموجّه في قبول المعاني مجتمعةً تحت التركيب الواحد، أو في ردّ ما يظن وهمًا أنه مشترك نحويّ، أو في ترجيح معنى دون آخر في سياق النصّ الشّريف.

وفي هذه الدراسة تناولت الباحثةُ أحدَ بواعث ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابية، وهي خفاء العلامة الإعرابيّة وكيف يؤثّر ذلك في تعدّد المعانيّ فالعلامة الإعرابية في كتب الفكر النحويّ متعلقةٌ بنظرية العامل؛ إذ ترتبط به بشكل كبير؛ فالعامل هو الحرف أو الفعل وما يشتقّ منه، والتغيير اللفظيّ هو اختلاف الحركات الظّاهرة في أواخر الكلم، أمّا التغيير التقديريّ فيكون بتقدير الحركات فيما لا تظهر فيه لغرض أو لمانع، كالتعذّر أو البناء وإعراب الجمل، وبعض العوارض التصريفيّة،... وفي هذه الدّراسة سوف تقوم الباحثة بتجلية هذه الظّاهرة، ببعض من الآيات في التّنزيل العزيز، وكيف أسهم غياب العلامة الإعرابية فيها، إلى جعلها حمّالةً لعدّة أوجه نحويّة، وذلك بالارتكاز على تفسير البحر المحيط لأبي حيّان، وماذا أجاز من بين هذه الوجوه أو ماذا ردّ.

الكلمات المفتاحية: خفاء العلامة الإعرابية، التقدير، تعدد الأوجه الإعرابيّة، المعنى، أبو حيان، البحر المحيط، التّرجيح، الرّدّ.

(1) هذا البحث مستلٌّ من أطروحة دكتوراة بعنوان:" أثر ظاهرة المشترك النّحويّ في تعدّد المعاني في القرآن الكريم: تفسير "البحر المحيط" أنموذجًا" قدّمت في جامعة النجاح الوطنية بنابلس، بإشراف الدكتور مهدي عرار.

المقدمة

تعدّ العلامة الإعرابية قرينةً من القرائن العديدة الّتي تنتج عن الأنظمة المتعدّدة للغة، وقد اهتمّ بها الكثيرون؛ إذ لم تحظ أي قرينة بمثل ما حظيت به العلامة الإعرابية، "حتّى عدّ بعضهم هذا الجانب هو النحو كله، فسُمّي النحو إعرابًا والإعراب نحوًا"[2] وفي خصائص ابن جني إشارة واضحة إلى أهمية العلامة الإعرابية، ودورها في تحديد أثر العامل، وبالتالي توضيح المعنى.

وهكذا صارت العلامة الإعرابية في الفكر النحوي متعلقة بنظرية العامل، ومرتبطة به بشكل كبير؛ لكونها أثرًا من آثاره، فالعامل هو الحرف أو الفعل وما يشتقّ منه، والتغيير اللفظي هو اختلاف الحركات الظاهرة في أواخر الكلم نحو قام سعيدٌ، رأيت سعيدًا، وسلّمت على سعيد .كما أن التغيير التقديري هو تقدير الحركات فيما لا تظهر فيه لغرض أو لمانع، مثل انتهاء التعذّر والبناء وإعراب الجمل، وبعض العوارض التصريفية، وإعراب المحل،...، " كلّ ذلك مما يتعذّر فيه ظهور العلامة الإعرابية الّتي هي علمٌ دالّ على معنًى"[3].

ولم يبتعد أبو حيان عن هذا الفكر،" حيث تركت مسألة العامل أثرًا واضحًا في توجيهه لمعنى النص القرآني"[4]، والبحر المحيط مليء بما يظهر أثر العلامة الإعرابية في توجيه المعنى وتغيّره بتغيّرها.

- مثال على ذلك إعراب جملة "يكفّرُ" في ما يأتي:

﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:271] في هذا الموضع احتملت جملة "يكفّر" ثلاثة وجوه إعرابيّة(5)؛ الرّفع والنّصب والجزم، وفي كل وجه منها كان المعنى مختلفًا:

- الجزم ووجهه أنه بدلٌ على الموضع من قوله :﴿ فَهُوَ خَيْر لَّكُمْ ﴾ لأنّه في جزم، وكأنّ المعنى :يكن لكم الإخفاء خيرًا من الإبداء، أو على إضمار حرف العطف، أي :ويكفّر.
- الرّفع، فيحتمل أن يكون الفعل خبر مبتدأ محذوف، أي :ونحن نكفّر، أي :وهو يكفّر، أي :الله .أو الإخفاء أي :وهي تكفّ أي : الصّدقة.

ويحتمل أن يكون مستأنفًا لا موضع له من الإعراب، وتكون الواو عطفت جملة كلام على جملة كلام، ويحتمل أن يكون معطوفًا على محلّ ما بعد الفاء، إذ لو وقع مضارعٌ بعدها لكان مرفوعًا، كقوله :﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيز ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة ٩٥].

- النصب بإضمار" أن"، وهو عطفٌ على مصدر متوهّم، ونظيره قراءة من قرأ ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ ﴾ [البقرة ٢٨٤] بنصب الرّاء، إلّا أنّه هنا يعسر تقدير ذلك المصدر المتوهّم من قوله :فهو خيرٌ لكم، فيحتاج إلى تكلّف بخلاف قوله: "يحاسبكم" فإنّه يقدّر تقع محاسبةٌ فغفرانٌ، وقال الزّمخشريّ :ومعناه وإن تخفوها يكن خيرًا لكم، وأن نكفّر عنكم. وظاهر كلامه هذا أنّ تقديره؛ وأن نكفّر، يكون مقدّرًا بمصدر، ويكون معطوفًا على (خيرًا) خبر يكن الّتي قدّرها كأنّه قال :يكن الإخفاء خيرًا لكم وتكفيرًا من الإبداء.

وقد أيّد ابن عطيّة الجزم في الرّاء وقال "إنها أفصح القراءات؛ لأنّها تؤذن بدخول التّكفير في الجزاء، وكونه مشروطًا إن وقع الإخفاء، وأمّا رفع الرّاء فليس فيه هذا المعنى"[6]، في حين يخالفه أبو حيّان الّذي يقول:" إنّ الرّفع أبلغ وأعمّ؛ لأنّ الجزم يكون على أنّه معطوفٌ على جواب الشّرط الثّاني، والرّفع بدلٌ على أنّ التّكفير مترتّبٌ من جهة المعنى على بذل الصّدقات، أبديت أو أخفيت؛ لأنّا نعلم أنّ هذا التّكفير متعلّقٌ بما قبله، ويختصّ التّكفير بالإخفاء فقط، والجزم يخصّصه به، ولا يمكن أن يقال :إنّ الّذي يبدي الصّدقات لا يكفّر من سيّئاته، فقد صار التّكفير شاملًا للنّوعين من إبداء الصّدقات وإخفائها، وإن كان الإخفاء خيرًا من الإبداء"[7].

من هنا نستنتج أن العلامة الإعرابية تدل في الغالب على المعاني الوظيفية النحوية، وهي تتغيّر بتغيّر المعنى الوظيفي للمعرب، وأنّ خفاءها قد يؤدّي إلى لبس في المعنى، وهو ما يخلق أكثر من احتمال نحويّ ذي معان مختلفة، تتلاءم مع التقدير.

من هذا المنطلق سوف تقوم الباحثة بالوقوف على بواعث خفاء العلامة الإعرابية، والتطرّق إلى بعض الشواهد، الّتي انعكس فيها ذلك، والوجوه المحتملة في كل شاهد، وكيف أثّر ذلك في المعنى.

---

(2) انظر السعيدي، أحمد خضير عباس العلي. قرينة العلامة وأثرها في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، 273.

(3) انظر مهدي عرار، المشترك اللغوي في القرآن الكريم: الصرفي والمعجمي والنحوي والأسلوبي، ص 286.

(4) انظر السعيدي، أحمد خضير عباس العلي. قرينة العلامة وأثرها في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، 273.

(5) قرأ أبو عمرٍو، وابن كثيرٍ، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ: "ونكفّر" بالنون ورفع الراء، وقرأ نافعٌ، وحمزة، والكسائيّ: "ونكفّر" بالنون والجزم في الراء، وروي مثل ذلك أيضًا عن عاصمٍ، وقرأ ابن عامرٍ: "ويكفّر" بالياء ورفع الراء، وقرأ ابن عبّاسٍ: "وتكفّر" بالتاء وكسر الفاء وجزم الراء، وقرأ عكرمة: "وتكفّر" بالتاء وفتح الفاء وجزم الراء، وقرأ الحسن: "ويكفّر" بالياء وجزم الراء، وروي عن الأعمش أنّه قرأ و"يكفّر" بالياء ونصب الراء، وقال أبو حاتمٍ: قرأ الأعمش: "يكفّر" بالياء دون واوٍ قبلها وبجزم الراء.

وحكى المهدويّ عن ابن هرمز أنّه قرأ "وتكفّر" بالتاء ورفع الراء، وحكي عن عكرمة وشهر بن حوشب أنّهما قرآ بتاءٍ ونصب الراء.

انظر: البغدادي، السبعة في القراءات، ص 191، وابن خالويه، الحجة في القراءات، 2/ 399 - 400.

(6) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 264/2

(7) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 339/2

أهداف الدّراسة:

- تنهض الدّراسة بالكشف عن أثر خفاء العلامة الإعرابيّة عن أواخر الكلمات، وتأثير ذلك على تعدد الأوجه الإعرابية، في القرآن الكريم
- تبيان وتجلية تأثير خفاء العلامة الإعرابية على المعنى في النص القرآني.
- إبراز موقف أبي حيّان من الظاهرة، بالقبول أو الردّ من خلال أمثلة دالّة.

أهمية الدراسة:

- توضيح أهمية العلامة الإعرابيّة في إعراب المفردات.
- إظهار قيمة العلامة الإعرابيّة وإسهامها في فهم المعنى في القرآن الكريم.
- الوقوف على الحالات الّتي تؤدّي إلى غياب الحالات الإعرابيّة.

مشكلة البحث:

يؤدّي خفاء العلامة الإعرابيّة إلى تأدية المفردة الواحدة أو حتى الجمل وأشباهها، وكلّ ما لا يمكن أن تظهر حركة إعراب عليه، إلى أن تكون الكلمة حمّالةً لدلالات ومعاني متعدّدة، وهذا الأمر أدّى لأن تكون مشكلة البحث متلخّصة في السؤال:

ما أثر خفاء العلامة الإعرابيّة في تعدّد الأوجه الإعرابيّة، وكيف ينعكس ذلك على المعنى في النص القرآني، من خلال تفسير البحر المحيط؟

وعن هذا السؤال تنبثق عدّة تساؤلات، هي:

- كيف يؤثّر غياب العلامة الإعرابيّة على المعنى في النص القرآني؟
- كيف يؤدّي عدم ظهور الحركة الإعرابية إلى تعدّد الأوجه الإعرابيّة في القرآن الكريم؟
- كيف يؤدّي السياق إلى فهم المعنى في حال غياب العلامة الإعرابيّة؟
- ما هي معايير التّرجيح أو الرد في النص القرآني، عند حضور هذه الظّاهرة؟

الدّراسات السابقة:

- السعيدي، أحمد خضير عباس العلي، قرينة العلامة وأثرها في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، ***مجلّة العميد***، العدد الخاص للقرآن الكريم، السنة الأولى جامعة ذي قار، العراق، 31.12.2012.
- صفية، وحيد، قرينة العلامة الإعرابية وأثرها في التراكيب اللغوية: دراسة تطبيقية على شعر الكميت بن زيد الأسدي، ***مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية***، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 44، العدد 2، ص 247-262، 2022.
- مهدي عرار، ***المشترك اللغوي في القرآن الكريم***، مكتبة لبنان، 2012، (جاءت الدراسة في أحد مباحث الكتاب، ص 285-295)

منهج الدراسة:

اتّبعت الباحثة في استشراف الظّاهرة وحضورها في القرآن الكريم، المنهج الوصفي التحليلي؛ فعملت على استخراج الشواهد، ثم وصفت مجيئها في كتب التّفاسير المختلفة، بالتّشديد على حضورها في البحر المحيط، وعرض رأي أبي حيّان، إن وجد، قبولًا أو ردًّا.

خطّة الدّراسة:

اتّبعت الباحثة في دراستها استشراف ظاهرة المشترك النّحوي، الآتي من خفاء العلامة الإعرابيّة، وفقًا للبواعث المؤدّية إلى تخلّقها، في تفسير البحر المحيط، لأبي حيّان، وقد قسّمت بحثها على النّحو الآتي:

تمهيد: وبه لمحةٌ عن حياة أبي حيان، ومنهجه في تفسير البحر المحيط.

الفصل الأول: خفاء العلامة الإعرابيّة بسبب البناء في الأسماء، وفيه مبحثان:

الأول- أسماء الإشارة

الثاني- الأسماء الموصولة

الفصل الثاني: وعني بخفاء العلامة الإعرابيّة لاختتام الكلمة بالألف المقصورة.

الفصل الثالث: خفاء العلامة الإعرابية بسبب الإضافة إلى ياء المتكلّم.

تمهيد

تتناول الدّراسة ظاهرة المشترك النّحوي الآتي من خفاء العلامة الإعرابية، من خلال التفسير الكبير، البحر المحيط، لكبير المفسّرين والنّحاة، أبي حيّان الأندلسي، وقبل أن تبدأ الباحثةُ في الجانب التّطبيقي، وجبَ عليها التّعريف بأبي حيّان، ومنهجه في التّفسير بعامّةٍ وفي البحر المحيط، موضوع الدّراسة، بخاصّةٍ.

أوّلًا: التعريف بأبي حيان:

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، أثير الدين أبو حيان الجياني النفزي[8]: نسبة إلى نفزة، وقد اتّفق معظم المترجمين على اسمه وكنيته، " إلّا أنّ أبا الفداء، وابن الوردي، والسّيوطي يسمّونه: أبا حيّان المغربيّ" [9]، وكثيرًا ما يلقّب بأبي حيّان الأندلسيّ، نسبةً إلى موطنه الكبير؛ الأندلس، وقد ولد أبو حيان في غرناطة في أواخر شوال سنة 654هـ[10].

أما كنيته " أبو حيان" فإنّها ترجع إلى أكبر أبنائه، " حيّان"، وقد غلبت عليه هذه الكنية، الّتي اشتهر وعرف بها.

ثقافته:

ذهب أبو حيّان منذ الصغر إلى المساجد والمدارس باحثًا عن العلم على أيدي الشيوخ والعلماء؛ وكان يرى أنّ العلم بكتاب الله هو أهمّ العلوم وأفضلها؛ إذ كان يقول: " إنّ المعارف جمّة، وهي كلّها مهمّة وأهمّها ما به الحياة الأبديّة والسّعادة السرمدية وذلك علم كتاب الله هو المقصود بالذات، وغيره من العلوم له كالأدوات، هو العروة الوثقى والوزر الأقوى والأوثق والحبل المتين والصراط المبين وقد كان، رحمه الله، إمام النحاة في عصره، وكفى بتفسير" البحر المحيط "، ومختصر" النهر المادّ"، خير شاهدين له على ذلك.

وكان لأبي حيّان اطّلاع واسع على اللّغات الأجنبيّة كالفارسيّة والتّركيّة والحبشيّة، وله إلمام بتراجم النّاس وطبقاتهم، مطّلعًا على كتب الصّوفيّة وكتب الأديان الأخرى كالتّوراة والإنجيل، وقد عرف عنه النّفور من كتب الفلسفة والمنطق.[11]وقد انتقل أبو حيّان إلى جواره تعالى في الثّامن والعشرين من صفر سنه745هـ عن عمرٍزاد على تسعين عامًا، قضاها في خدمة دينه و لغته.

ثانيًا: تفسير البحر المحيط

يعدّ البحر المحيط أحد أهمّ كتب التّفاسير الّتي حاولت الوقوف على مقاصد النّصّ القرآنيّ ومضامينه، "ويعدّ عند أهل العلم المرجع الأوّل والأهمّ لمن يريد أن يقف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم."

وهو من فئة التّفاسير المصنّفة ضمن التّفسير بالرّأي، والّذي من خلاله برزت سعة ثقافة أبي حيّان واطّلاعه على كتب وثقافات الآخرين ،فعلى سبيل المثال، نراه يقول عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة ١٧٤]، ، وبهذا شهدت التوراة والإنجيل والنصوص موجودة فيهما إلا أن في مواضع منها في التوراة في الفصل التاسع وفي الفصل العاشر من السّفر الأول وفي الفصل العشرين من السفر الخامس ومنها في الإنجيل مواضع تدلّ على ذلك".[12]

ثالثًا: منهج أبي حيان في البحر المحيط

لقد كان لأبي حيّان منهجًا علميًّا واضحًا في التّفسير من خلال تفسير" البحر المحيط"؛ إذ كان يبدأ في تناوله لكل آية قرآنية بطريقةٍ ثابتةٍ، وواضحة أبرزها في مقدّمته للبحر؛ فهو يبدأ بالعناية بالمفردات أولًا، ثمّ يوضّح المعاني وما تؤدّيه من أحكامٍ لغويّة ونحويّة، ثمّ يتّجه إلى توضيح أسباب النّزول، وذلك" بالإشارة إلى السّياقات الخارجية المنوطة والمحيطة بنزول النص القرآني"[13] ، بعدها يذكر مدى تناسق الآية مع ما سبقها من الآيات، ومن ثم يذكر ما ورد في الآية من أوجه القراءات القرآنية، ويبيّن توجيهه لها بما يتوافق مع مقتضيات اللغة العربية، فيذكر أقوال السلف والخلف في معاني الآية، فيختاربعدها الأقوى دليلًا والأصح ثبوتًا. وقد أولى أبو حيان اهتمامًا خاصًّا لبيان النواحي البلاغية في الآية التي يريد تفسيرها؛ فكان يبين أوجه البلاغة فيها غاية البيان، كما عرف عنه الميل إلى عدم تحميل النص القرآني ما لا يحتمل،

(8)انظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص 152

(9)انظر: أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر،505/1، وابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 317/2

(10)انظر: السيوطي، الدرّ المنثور في التفسير المأثور، ص 31.

(11)انظر: أبو حيان، تقريب المقرب، ص 60-61

(12)انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 40/1

(13) انظر: سمية غول، وفايزة حريزي، الدلالة النحوية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي، سورة الإسراء أنموذجًا، دفاتر البحوث العلمية، المجلد 11، عدد 1، ص 667.

وعدم الخروج عن ظاهره إلا إذا احتاج الأمر لذلك، كما أنّه لا يعرض في تفسيره لأقوال أهل الفلسفة. وقد لخّص منهجه هذا بالقول:" عادتنا في إعراب القرآن، لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه، وأبعدها من التكلّف، وأسوغها في لسان العرب، ولسنا كمن جعل كلام الله تعالى كشعر امرئ القيس، وشعر الأعشى، يحمّله جميع ما يحتمله اللفظ من وجوه الاحتمالات. فكما أنّ كلام الله من أفصح الكلام، فكذلك ينبغي إعرابه أن يحمل على أفصح الوجوه[14]" .

وهكذا كان دأب أبو حيّان في بحره المحيط، أنّه يقوم باستعراض الأقوال المختلفة في التأويل والتوجيه، ثم يختار ما يراه راجحاً مناسباً مع النظم القرآني، ويردّ ما لا يناسب منها، الأمر الّذي دفعه إلى ردّ الكثير منها؛ ولا يسمح بحمل تفسير النص القرآني عليها؛ لأنه رأى أنها توقع في اللبس والغموض، أو تنأى بالمعنى القرآني عن البلاغة والفصاحة، أو لا توافق القاعدة النحوية الصحيحة، وهو ما يؤكّد أنّ أبا حيان أدرك ما وقع فيه بعض المعربين والمفسّرين من هنّاتٍ وأخطاء، فأراد أن يتجنّب أخطاءهم، وأن يتدارك ما فاتهم.

فيمكن القول إنّ البحر المحيط من تفاسير الرّأي، لذا وجدت فيه الكثير من المواضع الّتي انفرد فيها أبو حيان باستقلاليّة الرّأي، نحو ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَة صَفۡرَآءُ فَاقِع لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ [البقرة ٦٩]ولم يؤنّث فاقعًا وإن كان صفةً لمؤنّث؛ لأنه رفع السببي وهو مذكر، فصار نحو جاءتني امرأة حسن أبوها، ولا يصحّ هنا أن يكون تابعًا لصفراء على سبيل التأكيد، لأنه يلزم المطابقة، إذ ذاك للمتبوع"[15]،والأمثلة الّتي تظهر استقلاليّة أبي حيّان في الرّأي كثيرة؛ وقد كان يدعمها بالسبب الّذي يبيّن لماذا يختار هذا الوجه دون غيره، وهذا يدلّ على أنّه مطّلع وذو ثقافةٍ تجعله يمضي واثقًا في ترجيحاته.

الدّراسة التطبيقية

المشترك النحوي الآتي من غياب العلامة الإعرابية

تعدّ العلامة الإعرابية قرينةً من القرائن العديدة الّتي تنتج عن الأنظمة المتعدّدة للغة، وقد اهتمّ بها الكثيرون؛ إذ لم تحظ أي قرينة بمثل ما حظيت به العلامة الإعرابية، "حتّى عدّ بعضهم هذا الجانب هو النحو كله، فسُمّي النحو إعرابًا والإعراب نحوًا"[16] ، وفي خصائص ابن جني إشارة واضحة إلى أهمية العلامة الإعرابية، ودورها في تحديد أثر العامل، وبالتالي توضيح المعنى.

وهكذا صارت العلامة الإعرابية في الفكر النحوي متعلقة بنظرية العامل، ومرتبطة به بشكل كبير؛ لكونها أثرًا من آثاره، فالعامل هو الحرف أو الفعل وما يشتقّ منه، والتغيير اللفظي هو اختلاف الحركات الظاهرة في أواخر الكلم نحو قام سعيدٌ، رأيت سعيدًا، وسلّمت على سعيد .كما أن التغيير التقديري هو تقدير الحركات فيما لا تظهر فيه لغرض أو لمانع، مثل انتهاء التعذّر والبناء وإعراب الجمل، وبعض العوارض التصريفية، وإعراب المحل،...، " كلّ ذلك مما يتعذّر فيه ظهور العلامة الإعرابية الّتي هي علمٌ دالّ على معنًى"[17].

ولم يبتعد أبو حيان عن هذا الفكر، حيث تركت مسألة العامل أثرًا واضحًا في توجيهه لمعنى النص القرآني[18]، والبحر المحيط مليء بما يظهر أثر العلامة الإعرابية في توجيه المعنى وتغيّره بتغيّرها، مثال على ذلك إعراب جملة "يكفّر" في ما يأتي:

﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡر لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِير﴾ [البقرة ٢٧١] في هذا الموضع احتملت جملة "يكفّر" ثلاثة وجوه إعرابيّة[19]: الرّفع والنّصب والجزم، وفي كل وجه منها كان المعنى مختلفًا:

- الجزم ووجهه أنه بدلٌ على الموضع من قوله :(فَ فَ قَ) ؛ لأنّه في جزم، وكأنّ المعنى :يكن لكم الإخفاء خيرًا من الإبداء، أو على إضمار حرف العطف، أي :ويكفّر.

(14) انظر أبو حيان، البحر المحيط، 159/1

(15) أبو حيان، البحر المحيط، 417/1

(16) انظر السعيدي، أحمد خضير عباس العلي. قرينة العلامة وأثرها في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، 273.

(17) انظر مهدي عرار، المشترك اللغوي في القرآن الكريم: الصرفي والمعجمي والنحوي والأسلوبي، ص 286.

(18) انظر السعيدي، أحمد خضير عباس العلي. قرينة العلامة وأثرها في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، 273.

(19) قرأ أبو عمرٍو، وابن كثيرٍ، وعاصمٌ في رواية أبي بكرٍ: "ونكفّر" بالنون ورفع الراء، وقرأ نافعٌ، وحمزة، والكسائيّ: "ونكفّر" بالنون والجزم في الراء، وروي مثل ذلك أيضًا عن عاصمٍ، وقرأ ابن عامرٍ: "ويكفّر" بالياء ورفع الراء، وقرأ ابن عبّاسٍ: "وتكفّر" بالتاء وكسر الفاء وجزم الراء، وقرأ عكرمة: "وتكفّر" بالتاء وفتح الفاء وجزم الراء، وقرأ الحسن: "ويكفّر" بالياء وجزم الراء، وروي عن الأعمش أنّه قرأ و"يكفّر" بالياء ونصب الراء، وقال أبو حاتمٍ: قرأ الأعمش: "يكفّر" بالياء دون واوٍ قبلها وبجزم الراء.

وحكى المهدويّ عن ابن هرمز أنّه قرأ "وتكفّر" بالتاء ورفع الراء، وحكي عن عكرمة وشهر بن حوشب أنّهما قرآ بتاءٍ ونصب الراء.

انظر: البغدادي، السبعة في القراءات، ص 191، وابن خالويه، الحجة في القراءات، 2/ 399 - 400.

- الرّفع، فيحتمل أن يكون الفعل خبر مبتدأ محذوف، أي :ونحن نكفّر، أي :وهو يكفّر، أي :اللّه .أو الإخفاء أي :وهي تكفّر أي :الصّدقة. ويحتمل أن يكون مستأنفًا لا موضع له من الإعراب، وتكون الواو عطفت جملة كلام على جملة كلام، ويحتمل أن يكون معطوفًا على محلّ ما بعد الفاء، إذ لو وقع مضارعٌ بعدها لكان مرفوعًا، كقوله: ﴿ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ [المائدة ٩٥]
- النصب بإضمار" أن"، وهو عطفٌ على مصدر متوهّم، ونظيره قراءة من قرأ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة ٢٨٤]،بنصب الرّاء، إلّا أنّه هنا يعسر تقدير ذلك المصدر المتوهّم من قوله :﴿ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ ، فيحتاج إلى تكلّف بخلاف قوله﴿ يُحَاسِبۡكُم ﴾ ،فإنّه يقدّر تقع محاسبةٌ فغفرانٌ، وقال الزّمخشريّ:" ومعناه وإن تخفوها يكن خيرًا لكم، وأن نكفّر عنكم"20.وظاهر كلامه هذا أنّ تقديره؛ وأن نكفّر، يكون مقدّرًا بمصدر، ويكون معطوفًا على" خيرًا" خبر يكن الّتي قدّرها كأنّه قال : يكن الإخفاء خيرًا لكم وتكفيرًا من الإبداء.

وقد أيّد ابن عطيّة الجزم في الرّاء وقال:" إنها أفصح القراءات؛ لأنّها تؤذن بدخول التّكفير في الجزاء، وكونه مشروطًا إن وقع الإخفاء، وأمّا رفع الرّاء فليس فيه هذا المعنى"[21]، في حين يخالفه أبو حيّان الّذي يقول:" إنّ الرّفع أبلغ وأعمّ؛ لأنّ الجزم يكون على أنّه معطوفٌ على جواب الشّرط الثّاني، والرّفع بدلٌ، على أنّ التّكفير مترتّبٌ من جهة المعنى على بذل الصّدقات، أبديت أو أخفيت؛ لأنّا نعلم أنّ هذا التّكفير متعلّقٌ بما قبله، ويختصّ التّكفير بالإخفاء فقط، والجزم يخصّصه به، ولا يمكن أن يقال :إنّ الّذي يبدي الصّدقات لا يكفّر من سيّئاته، فقد صار التّكفير شاملًا للنّوعين من إبداء الصّدقات وإخفائها، وإن كان الإخفاء خيرًا من الإبداء"[22].

من هنا نستنتج أن العلامة الإعرابية تدل في الغالب على المعاني الوظيفية النحوية، وهي تتغيّر بتغيّر المعنى الوظيفي للمعرب، وأنّ خفاءها قد يؤدّي إلى لبس في المعنى، وهو ما يخلق أكثر من احتمال نحويّ ذي معان مختلفة، تتلاءم مع التقدير.

من هذا المنطلق سوف تقوم الباحثة بالوقوف على بواعث خفاء العلامة الإعرابية، والتطرّق إلى بعض الشواهد، الّتي انعكس فيها ذلك، والوجوه المحتملة في كل شاهد، وكيف أثّر ذلك في المعنى.

بواعث خفاء العلامة الإعرابيّة

البناء

يعدّ البناء من العوامل التي تؤدّي إلى تخلّق ظاهرة المشترك النحوي، وهو يختلف عن الإعراب بكون الإعراب يدلّ على التغيير؛ في حين البناء يدل على الثبات، وقد وضّح ابن جني هذه المقابلة بينهما ب "زوال الإعراب لتغيّر العامل وانتقاله، ولزوم البناء الحادث عن غير عامل وثباته"[23] وهو يعني "لزوم أواخر الكلمة ضربًا واحدًا من السّكون أو الحركة لا لشيء أحدث ذلك من العوامل"[24]، وقد عرّفه الزمخشريّ بقوله:" هو الّذي سكون آخره، وحركته لا بعامل"[25]، ونرى أنّ اتفاق النحويين في تعريف البناء، يركّز على لزوم آخر الكلمة سكونًا أو حركةً لا يكونان عن عامل.

والبناء يكون فيما يأتي:

أولًا :الحروف كلّها.

ثانيًا :في الفعل الماضي والأمر بجميع صيغهما.

ثالثًا :في الكثير من الأسماء مثل :جميع الضمائر، أسماء الإشارة والأسماء الموصولة ما عدا المثنّى فيهما، في أسماء الشرط ما عدا أيّا،...

رابعًا :في الجملة بكاملها وذلك لغياب العلامات التي توجب الإعراب فيها؛ لأنه لا يمكن استقلال أحد أركانها عن الآخر.

وسنورد فيما يأتي بعض الشواهد الّذي كان البناء باعثًا لاحتمالها لأكثر من وجه إعرابيّ:

اسم الإشارة:

هذا:

﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة ١٤]

20 انظر: الزمخشري، الكشاف، 316/1

(21) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 264/2

(22) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 339/2

(23) ابن جني، اللمّع في العربية، تحقيق فائز فارس، (د،ط)، دار الكتب الثقافيّة، الكويت، ص 9.

(24) الخصائص، 37/1

(25) (25) الزمخشري، المفصّل في علم العربيّة، بيروت، دار الجيل، ط1، بدون سنة، ص 125.

في هذا الموضع من التّنزيل العزيز يأتي الاشتراك في اسم الإشارة "هذا"، الّذي جاء حمّالًا لثلاثة وجوه إعرابيّة، تعرضها الباحثة على النّحو التّالي:

الأوّل :أن يكون صفةً ل" لقاءٌ"، فيكون المعنى وصف حالهم عند لقاء ربّهم؛ إذ ينكّسون رؤوسهم خزيًا لنسيانهم ومعصيتهم له؛ لذا سيكون عقابهم عذاب الخلد، وهذا ما ذهب إليه العكبري[26].

الثّاني :هو صفة "يومكم" وهو اليوم الّذي جيء به للتّهويل، ومفعول "فذوقوا" محذوفٌ، أو مفعول.

أمّا الثّالث وهو ما ذهب إليه الألوسي، فأن يكون مفعول" ذوقوا" محذوفًا، حيث إن التّقدير :فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم، وفي استئناف قوله" إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ" ، وبناء الفعل على إنّ واسمها تشديدٌ في الانتقام منهم، وقد وافق أبو حيان هذا الوجه.

"تلك"

﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء ١٥]

في هذا الموضع من التنزيل العزيز أدّى عدم ظهور العلامة الإعرابية على اسم الإشارة "تلك "إلى خلق أكثر من احتمال نحوي لإعرابها؛ ويكون ذلك على النحو التالي:

أ- اسم " ما زالت زالت" و" دعواهم" الخبر، فيكون المعنى المراد هو الإشارة إلى الجملة المقولة:
تلك الدّعوى دعواهم.

ب- أن تكون في موضع نصب خبر" ما زالت"، و" دعواهم" هي الاسم، أو اسم" زالت" و" دعواهم" الخبر، وهو رأي الحوفيّ وتبعه الزّمخشريّ وأبو البقاء، وكان الزجّاج قد سبقهم إليه.

أمّا المتأخّرون "فلم يجيزوا إلا الوجه الأول، لتكون " تلك" اسم" ما زالت"، و" دعواهم" خبرها"[27] ، وذلك لأنّ اسم كان وخبرها مشبّهٌ بالفاعل والمفعول، "فكما لا يجوز في باب الفاعل والمفعول إذا ألبس أن يكون المتقدّم الخبر والمتأخّر الاسم لا يجوز ذلك في باب كان"[28]، وبناءً على ذلك كان ترجيح أبي حيّان لرأي المتأخرين؛ الذين أجازوا الوجه الأوّل، حتى لا يلبس الكلام.

"هؤلاء"

﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران ٦٦] يأتي اسم الإشارة" هؤلاءِ" ههنا مشتركًا نحويًا، لعدّة معان؛ وذلك كما يأتي:

- أن يكون خبرًا مرفوعًا، وأنتم تكون المبتدأ، و" حاججْتُم"، جملةٌ حاليّةٌ .كقول: " ها أنت ذا قائمًا .وهي من الأحوال الّتي ليست يستغنى عنها، كقوله :ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون على أحسن الوجوه في إعرابه" [29]. وهذا الوجه قاله الزمخشري، لكنّه "عدّ" حاججْتُم" جملةً مستأنفةً مبيّنةٌ للجملة الأولى، يعني :أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى، وبيان حماقتكم، وقلّة عقولكم، أنّكم حاججتم فيما لكم به علمٌ ممّا نطق به التّوراة والإنجيل، فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علمٌ؟"[30].
- أن يكون هؤلاء، بدلًا، وعطف بيان، والخبر :حاججتم أو أن يكون، هؤلاء، بمعنى الّذي، وهو خبر المبتدأ.
- أن يكون منادى، والمعنى :يا هؤلاء، وحذف منه حرف النّداء، وهذا لا يجوز حذف من المشار على مذهب البصريّين، ويجوز على مذهب الكوفيّين، وقد جاء حذفه في الشّعر حذفه، لكنّه قليلٌ.[31]
- وقد ردّ أبو حيّان الوجوه جميعها، واختار وجهًا واحدًا، وهو الرّفع على كونها خبرًا، وحاججتم تكون جملة حاليّة، وهذا الشيء غير بعيد أو غريب في نهجه، فنهجه قائم على اختيار الوجه الأوضح والمعنى الأقرب.

الاسم الموصول:

الّذي

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22]، إنّ لانفتاح الدلالة في التنزيل العزيز، دورٌ بارزٌ في تخلّق ظاهرة تعدّد الأوجه الإعرابيّة، المفضية إلى اتّساع المعاني

(26) انظر: العكبري، التّبيان في إعراب القرآن، 1049/2.

(27) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 279/6

(28) السابق.

(29) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 486/2

(30) انظر: الزمخشري، الكشاف، 568/1

(31) انظر: سيبويه، الكتاب، 2/ 229، والمبرد، المقتضب، 1/ 258، وابن يعيش، شرح المفصل، 2/ 15، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن، ص95، وثمّ وجوه أخرى للآية أوردها السمين الحلبي في الدر المصون 3/ 240 – 242.

وإثرائها .ويعدّ خفاء العلامة الإعرابية من العوامل الّتي تسهم في خلق هذه الظاهرة، وهنا يتجلّى هذا في عدم ظهور حركة إعرابيّة على الاسم الموصول "الّذي"؛ لكونه من المباني.

وقد جوّزوا لإعراب هذا الاسم عدّة وجوه، الّتي تراوحت بين حالتين إعرابيّتين، هما النّصب والرّفع، تعرضها الباحثة على النّحو الآتي:

أمّا النّصب، فمن وجوه خمسة:

الأول :النّصب على القطع، وهذا أظهر الوجوه عند صاحب الدرّ المصون

الثاني :أنه نعت ل "ربّكم"، والتّقدير :" اعبدوا ربّكم الذي جعل لكم الأرض فراشًا؛ فهو صفة مادحة وموضّحة".[32]

الثالث :مفعول به منصوب على المدح لفعل محذوف تقديره "أعني"؛ أو "أخصّ."

الرابع :مفعول به ل "تتّقون"، والمعنى تتّقون الّذي،...

الخامس :النّصب على اتّباع "الّذي "في قوله :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:21]، والقول إنّه نعت الأوّل لا يجوز لأنّه نعت للنّعت، والقول إنه مفعول بالنصب على الذم، أو ل ﴿تَتَّقُونَ﴾ هو إعراب غثّ، لا يتلاءم مع معنى النّص القرآني المحكم الآيات.

وأمّا الرّفع: ففيه وجوه كذلك، هي كالآتي:

أن يكون خبرًا مرفوعًا لمبتدأ محذوف، والتقدير :هو الّذي ،...

أن يكون مبتدأ وخبره ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22]، وهو وجهٌ ضعيف ردّه أبو حيان.

أن يكون نعتًا للفظ الجلالة، من قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِير﴾ [البقرة ٢٠]

ومن المواضع الأخرى الّتي جاء فيها" الّذي" مشتركًا نحويًّا، قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات ٢١] فقد جوّز النّحّاس وأبو حيّان أن يكون" الّذي" في موضع رفع صفة ل" يَوْمُ" ،فيأتي واصفًا شدّة وهول هذا اليوم الّذي يكذّب به الكافرون .أو صفة للمضاف إليه" الفصل" ويكون مجرورًا، أمّا المعنى فيكون بأنّ هذا اليوم هو الفاصل بين الله -سبحانه -وبين الكافرين الّذين سيكون مأواهم جهنّم وبئس المصير.

الّتي:

لقد أثّر غياب العلامة الإعرابيّة عن الاسم الموصول "الّتي"، المختصّ بالمفرد المؤنّث ممّا يعقل وغيره؛ بسبب البناء، في مواضع كثيرة من التّنزيل العزيز، فأفضى إلى تعدّد في المعاني النحيّة واشترا، تذكر الباحثة منها:

﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَة لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء ٩١]

يجوز في إعراب" الّتي" ثلاثة أوجه:

الأوّل بتقدير فعل" اذكر" فيكون المعنى:" أن أذكر التي حفظت وأحصنت فرجها"، فيكون الاسم منصوبًا على المفعوليّة، وهو الوجه الّذي جوّزه أغلب النّحويين والمفسّرين، والثاني بالنصب بالعطف على ما قبلها، " وهو ما ذهب إليه السّمين، والتقدير: فيما يتلى عليكم الّتي أحصنت فرجها"[33]، وأمّا الثّالث فهو " الرّفع على الابتداء لخبر محذوف، وهو ما اختاره العكبري"[34].

الّذين

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًاۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَاۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:33]

يأتي الاشتراك في الاسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ من قوله :﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾، فقد احتمل معنيين نحويين أحدهما الرفع وثانيهما النصب، فقد يكون في محل رفع مبتدأ وخبره الجملة الفعلية

﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾، فقد دخلت الفاء في الخبر لتضمّن الموصول من معنى اسم الشّرط، " ويحتمل أن يكون منصوبًا بفعل مقدّر على الاشتغال، كما تقول :زيدًا فاضربه؛ لأنّه يجوز أن تقول زيدًا فاضرب، وزيدًا اضرب، فإذا دخلت الفاء كان التّقدير بنيّة فاضرب زيدًا، فالفاء في جواب أمر محذوف، وفي هذا الإعراب يتّفق أبو حيّان والسمين"[35].

(32) انظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون، 192/1

(33) انظر: ابن السمين الحلبي، الدر المصون، 482/5.

(34) انظر: العكبري، البيان والتّبيين، 952/2

(35) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 415/6

كما يتجلّى الاشتراك النحوي للاسم الموصول "الّذين" في قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران ١٨٣]، فهو يحتمل أن يأتي في محل جر، ورفع، ونصب، وذلك على النّحو التالي:

الأول:" الجرّ وله ثلاثة احتمالات، أنه صفةٌ ل﴿ٱلَّذِينَ﴾ المخفوض بإضافة صفةٌ ﴿للعبيد﴾ أي: ﴿ليس بظلاّم للعبيد﴾ الذين قالوا كذا وكذا، قاله الزجاج. وقد اعترض ابن عطيّة على ما قاله الزجّاج أنّه صفة للعبيد، وقال إنّه مفسدٌ للمعنى"[36].

والرفع :على القطع بإضمار مبتدأ أي :هم الذين .وكذلك النصب على القطع أيضاً بإضمار فعل لائق

" أذمّ الّذين"[37].

من: ومثالها الدّال على اشتراكها نحويًا، واحتمالها معاني مجتمعةً قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:80]

يحتمل أن تكون شرطيّةً، ويحتمل أن تكون موصولةً، "والمسوّغات لجواز دخول الفاء في الخبر إذا كان المبتدأ موصولًا موجودةٌ هنا؛ لذا رجّح أبو حيّان معنى الموصوليّة" .[38]

وفي الموضع: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام ١١٧]

جاء الاسم الموصول "من "حمّالًا لعدّة معان نحويّة، وذلك على النّحو التّالي:

- في موضع جرّ على إسقاط حرف الجرّ وإبقاء عمله، فهو يطابق ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل ١٢٥] والقصد هو بمن ضلّ، لكنّ تمّ حذف الباء،" ويعارض أبو حيّان هذا لأنّه لا يجوز إلّا في الشّعر، نحو :زيدٌ أضرب السّيف، أي :بالسّيف"(39).
- في موضع رفع مبتدأ ولفظها لفظ استفهام، وهذا رأي الكسائيّ والمبرّد والزّجّاج ومكّيّ، والخبر" يضِلُّ" والجملة في موضع نصب ب" أعلَمُ" أي :أعلم أيّ النّاس يضلّ فيكون المعنى :إن ربّك هو أعلم أيّ الناس يضلّ عن سبيله[40]، وهذا مثل قوله ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ﴾ [الكهف ١٢]، لكنّ أبا حيّان علّق على هذا المعنى بقوله ":وهذا ليس بجيّد؛ لأنّ أفعل التّفضيل لا يعمل النّصب في المفعول به، وقال أبو عليّ :في موضع نصب بفعل محذوف، أي :يعلم من يضلّ، ودلّ على حذفه" أعلم" "[41].
- في موضع نصب ب" أعلمُ" بعد حذف حرف الجرّ، وهو قول أبي الفتح مثلما جاء في الشعر:

" وأضرب منّا بالسّيوف القوانسا"[42]

" أي :تضرب القوانس، وهي إذ ذاك موصولةٌ، وصلتها " يَضِلُّ" وجوّز أبو البقاء أن تكون موصوفةً بالفعل، وقرأ الحسن وأحمد بن أبي شريح:" يَضِلُّ" بضمّ الياء، وفاعلها ضمير" من "، ومفعوله محذوفٌ، أي :من يضلّ النّاس، أو ضمير الله على معنى يجده ضالًّا أو يخلق فيه الضّلال، وهذه الجملة خبريّةٌ تتضمّن الوعيد والوعد؛ لأنّ كونه تعالى عالمًا بالضّالّ والمهتدي كنايةٌ عن مجازاتهما"[43].

ما

﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة ٧]

يتبوّأ الاسم الموصول "ما "أكثر من وجه أعرابيّ، فهي:

إمّا مصدريّةٌ منصوبة المحلّ على الظّرفيّة بتقدير المضاف، أي :" فاستقيموا لهم مدّة استقامتهم"[44]، وهذا مذهب ابي حيّان، و" إمّا شرطيّةٌ منصوبة المحلّ على الظّرفيّة الزّمانيّة" [45]، وهو ما قاله أبو البقاء، اعتمادًا على قوله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ [فاطر ٢] فيكون التّقدير :ما استقاموا لكم من زمان فاستقيموا لهم، وهذا الوجه ردّه أبو حيّان.

(36) قال ابن عطية عن هذا الإعراب: وهذا مفسد للمعنى والرصف، انظر: المحرر الوجيز، 443/3.

(37) انظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون، 164/3.

(38) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 445/1

(39) انظر: أبو حيان، البحر المحيط 213/4

(40) انظر: الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، 286/2

(41) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 213/4

(42) عباس بن مرداس السّلمي، الديوان، ص60

(43) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 213/4

(44) انظر: أبو حيان، البحر المحيط 15/5

(45) انظر: العكبري، التبيان، 470/1

"وقال الحوفيّ: " ما" شرطٌ في موضع رفع بالابتداء، والخبر" استقامَوا"، و" لَكُم" متعلّقٌ باستقاموا، "" فاستقيموا لهم" الفاء جواب الشّرط، فكان التّقدير: فأيّ وقت استقاموا فيه لكم فاستقيموا لهم .وإنّما جوّز أن تكون شرطيّةً لوجود الفاء في" فاستقيموا" ؛ لأنّ المصدريّة الزّمانيّة لا تحتاج إلى الفاء .وقد أجاز ابن مالك في المصدريّة الزّمانيّة أن تكون شرطيّةً وتجزم".[46]

الألف المقصورة:

يؤدّي انتهاء الكلمة بالألف المقصورة إلى تعذّر ظهور العلامة الإعرابيّة، وهذا يفتح المجال لتعدّد المعاني لهذه الكلمة بناءً على وظيفتها النحويّة، وستسوق الباحثة بعض الأمثلة الّتي تتجلّى هذه الظاهرة من خلالها.

﴿ سبّحْ اسم ربّكَ الأعلى ﴾[الأعلى:1]

جاء موضع الاشتراك هنا في كلمة "الأعلى"، الّتي لم تظهر عليها علامة إعرابية بسبب التعذّر، وهذا الأمر جعلها حمّالةً لأكثر من وجه أعرابيّ، وكل وجه يفضي إلى معنى مختلف، وهذه الوجوه تأتي كما يلي:

1- أن تكون صفةً "لربّك "فتكون في محل جرّ.

2- أن تكون صفةً ل "اسمَ "فتأتي منصوبةً، وهذا الوجه ردّه أبو حيان؛ إذ يقول :إنّ هذا الوجه لا يصح أن يعرب "الّذي خلق "صفة ل " ربّك "فيكون في موضع جرّ؛ لأنه حالت بينه وبين موصوفه صفةٌ لغيره، لو قلت :رأيت غلام هند العاقل الحسنة، لم يجُزْ، بل لا بدّ أن تأتي بصفة هند، ثمّ تأتي بصفة الغلام، فتقول :رأيت غلام هند الحسنةِ العاقلَ .فإن لم تجعل "الذي "صفةً ل "ربّك"، بل ترفعه على أنّه خبر مبتدأ محذوف أو تنصبه على المدح، جاز أن يكون " الأعلى "صفة ل " اسم".[47] وفي رأيي أن نجعلها صفة ل "ربّك، "هذا هو الوجه الأفضل؛ لكونه يبتعد عن التأويل الزائد والمبالغ به، والأفضل في تفسير كلام الله أن نبتعد عن التأويل ما لم تكُن ثمَّ حاجة ، ثم أن لا شيء ينفي الوجه القائل بأنها صفةٌ لاسم، وهذا هو منهج أبي حيّان.﴿كِتابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ [الأعراف: 2]

إن غياب العلامة الإعرابية المقدّرة على الألف في المصدر" وذِكرى" أدّى إلى جعلها مشتركًا نحويًّا لعدّة عوامل، وموجزها فيما يلي:

- النّصب على المصدر، على إضمار فعل معطوف على﴿لِتُنْذِرَ﴾ أي وتذكر ذكرى، أو على موضع لتنذر؛ لأنّ موضعه نصبٌ فيكون إذ ذاك معطوفًا على المعنى كما عطفت الحال على موضع المجرور في قوله: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِما ﴾ [يونس١٢] " وهذا الرأي للفرّاء كما أنّه جوّز وجه الرفع بالرد على الكتاب، كأن تقول :كتاب حق وذكرى" [48]، كما يجوز النّصب على اعتباره مفعولًا من أجله، كما تقول :جئتك للإحسان وشوقًا إليك، فيكون المعنى: جئت من أجل الذّكرى.
- الجرّ على موضع النّاصبة" لِتُنْذِرَ" المنسبك منها ومن الفعل مصدرٌ؛ فيكون التّقدير :لإنذارك به وذكرى، فالمعنى العام هو الإنذار والذكرى[49].
- الرفع على اعتبارها عطفًا على كتاب، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: وهو ذكرى للمؤمنين، وهو مذهب الفرّاء والزجّاج.

ولم يرد تعليق أبي حيّان على أي وجه من الوجوه، أمّاالباحثة فترى أن تكون خبرًا لمبتدأ محذوف، فيكون التقدير وهو ذكرى؛ لأن هذا التقدير يبتعد عن التعقيد والبحث عن تأويلات لا حاجة لها، ثمّ انّه لا يتعارض مع معنى النص القرآني حتى تكون لدينا علّة للبحث عن وجوه إعرابية أخرى .

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ﴾ [النمل:1- 2]

جاء الاسمان " هُدًى" و" بُشرى" مقصوران؛ ممّا يعني أن علامة الإعراب لن تظهر على أيّ منهما، وهذا من البواعث لتعدّد الأوجه الإعرابية والانفتاح الدلالي على معان متعدّدة في التّنزيل العزيز، فهما قد يكونان منصوبين على الحال، أي: إن آيات القرآن والكتاب المبين للحقّ والكاشف له، هاديةً ومبشّرةً، والعامل في الحال ما في تلك من معنى الإشارة. وجاز أن يكونا مصدرين لفعلين محذوفين: هدى هدىً، وبشّر بشرى، كما أنهما احتملا الرّفع على إضمار مبتدأ .أي هي هدًى وبشرى؛ أو على البدل من آيات؛ أو على خبر بعد خبر، أي جمعت بين كونها آيات وهدًى وبشرى .ومعنى كونها هدًى للمؤمنين :زيادة هداهم. قال تعالى ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ

(46) انظر: البحر المحيط، 15/5

(47) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 453/8

(48) انظر: الفراء، معاني االقرآن، 370/1

(49) انظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، 2/ 315 - 316، وعلى هذا فيه ثلاثة أوجه: وهي الرفع: بالعطف على كتاب أو على إضمار مبتدأ، والنصب: على المصدريّة، والتقدير: وتذكر ذكرى أو بالعطف على موضع التنذر. والجر على العطف على المصدر المنسبك في أن المقدرة بعد لام التعليل، والتقدير: هي للإنذار والتذكير أو على الضمير في " به" وانظر: النحاس، إعراب القرآن، 1/ 599، ومكي، مشكل إعراب القرآن، 1/ 281، والعكبري، التبيان في إعراب القرآن،
ص 367، والسمين الحلبي، الدر المصون، 5/ 244.

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [التوبة ١٢٤] وقيل :هدًى لجميع الخلق، ويكون الهدى بمعنى الدّلالة والإرشاد والتّبيين، لا بمعنى تحصيل الهدى الّذي هو مقابل الضّلال" وبُشرى للمؤمنين"خاصّةً، وقيل :هدًى للمؤمنين وبشرى للمؤمنين، وخصّهم بالذّكر لانتفاعهم به.

وترى الباحثة وجهًا آخر محتملًا هو انتصابهما على المفعول لأجله، ليكون المعنى: تلك آيات القرآن وكتاب مبين من عند الله للهدى والتّبشير للمؤمنين، فهو توضيح لمن أراد أن يعرف من أجل ماذا تلك الآيات.

وعلى أي حال من الأحوال نرى أن غياب العلامة الإعرابيّة أدّى إلى استشكال الكلم، وجعله حمّالًا لمعان كثيرة، والّتي لو كانت هناك علامة إعرابية على الحرف؛ لسهل معرفة الوجه الإعرابيّ، ولما كان كلّ هذا التعدد، كما أنّ وجود هذه الظاهرة في القرآن الكريم، هو من يمنحها الطّابع الخاص والمتميّز في احتمالها هذا الكم المتعدّد من الاشتراك في المعاني، ولو كانت في غير كتاب الله، لما احتملت كل هذه الوجوه النحوية المتعددة المعاني.

ومن المواضع الّتي تتجلّى من خلالها ظاهرة المشترك النّحوي بسبب خفاء العلامة الإعرابيّة، جملة" يُصلّي" في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران ٣٩]، فمن البيّن أن الجمل لا يمكن أن تأتي لها علامة إعرابيّة بارزة، ويكون إعرابها تقديرًا، وهذا الأمر يخلق حالة من اللّبس النحوي في إعرابها أحيانًا، وهذا يتجلّى في تحديد المنزلة النحويّة لجملة" يُصَلّي" إذ إنّ لها أكثر من وجه إعرابيّ:

صفة ل" قائمٌ"، فتكون في موضع رفع.

حال من الضمير المستكن في اسم الفاعل" قائِمٌ"، أو من ضمير المفعول على مذهب من يجيز حالين، وتكون في موضع نصب.

اعتبارها خبرًا ثانيًا للضمير المنفصل " هو" على مذهب من يجيز تعدد الأخبار لمبتدأ واحد، وإن لم تكن في معنى خبر واحد، وفي هذه الحالة يتعلّق في " المحراب بقوله:" يُصَلّي" ولا يجوز أن يتعلّق ب" قائمٌ" وهذا رأي أبي حيّان، فهو لا يرى إلا وجهًا واحدًا لإعرابها وهو وقوعها حالًا من الضمير المستكن في" قائمٌ" [50].

وترى الباحثة أن اعتبارها حالًا هو الأكثر قبولًا؛ فيكون المعنى أنّ نداء الملائكة له كان في الحال التي قام فيها بالصلاة في محرابه، فقد بيّن لنا حالة نداء الملائكة له، في مكان مقدّس " المحراب "، وهذا المعنى يلائم حال حضور الملائكة، فهي تحضر عند مواقع ذكر الله والاعمال الصالحة.

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف ٤]

موضع الاشتراك النّحوي ههنا جاء في تحديد الموقع الإعرابي لجملة" أهلكْناها" الّتي تحتمل أن تكون في موضع رفع خبر، فيكون معنى الكلام :كثيرٌ من القرى أهلكناها، والضمير يعود على المبتدأ" كم الخبريّة".

وتحتمل كذلك أن تكون في موضع نصب، وعندها لا بدّ من إضمار فعل يفسّره" أهلكناها" تقديره :وكم من قرية أهلكناها، ولا بدّ في الآية من تقدير محذوف مضاف لقوله :أو هم قائلون، فمنهم من قدّره وكم من أهل قرية، ومنهم من قدّره: أهلكنا أهلها، وينبغي أن يقدّر عند قوله:

" فَجاءَها" أي :فجاء أهلها لمجيء الحال من أهلها بدليل، أو هم قائلون؛ لأنّه يمكن إهلاك القرى بالخسف والهدم وغير ذلك، فلا ضرورة تدعو إلى حذف المضاف قبل قوله:" فَجاءَها" لعدم الحاجة إليه؛ لأن إهلاك القرية يمكن أن يقع عليها نفسها؛ ولأن القرية لا تسمى بذلك إلا وفيها مساكن لأهلها، وسكان منهم، ففي إهلاكها إهلاك من فيها من أهلها، وهو ما ذهب إليه أبو حيّان[51]، والسّمين[52]، والطبري[53]،" وقرأ ابن أبي عبلة﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا﴾ فيقدّر المضاف: وكم من أهل قرية، ولا بدّ من تقديره صفةً للقرية محذوفةً، أي: من قرية عاصية، ولا بدّ من تجوّز إمّا في الفعل بأن يراد به أردنا إهلاكها، أو حكمنا بإهلاكها " فَجاءَها بأسُنا" وإمّا أن يختلف المدلولان بأن يكون المعنى أهلكناها بالخذلان وقلّة التّوفيق، فجاءها بأسنا بعد ذلك، وإمّا أن يكون التّجوّز في الفاء بأن تكون بمعنى الواو، وهو وجهٌ يراه أبو حيان ضعيفًا، أو تكون لترتيب القول فقط فكأنّه أخبر عن قرًى كثيرة أنّه أهلكها، ثمّ قال فكان من أمرها مجيء البأس".[54]

وترى الباحثة أنّ النصب في هذه الآية أجود وأفضل؛ فهي القراءة المشهورة التي ذهب إليها الجمهور، لأن الفائدة فيه أكثر من فائدة الرفع؛ فالتقدير :خلقنا كلّ شيء بقدر فيدلّ على العموم واشتمال الخلق على الأشياء جميعها.

﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف ٥]

(50) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 265/2

(51) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 268/4

(52) انظر: السمين الحلبي، الدر المصون، 248/5

(53) انظر: الطبري، التفسير، 118/8

(54) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 269/4

موضع الاشتراك هنا يأتي في إعراب" دعواهم" ، فهو يحتمل وجهين :

الأول :أن يكون في موضع نصب خبر مقدّم، والمصدر" أن قالوا" اسم كان مؤخر، وهذا كان اختيار كل من الفرّاء[55]، والزجّاج[56]، والنحاس[57] والزمخشري[58]، وابن عطيّة[59]، كقوله: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [النمل ٥٦]وقوله : ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ ﴾ [الحشر ١٧] وقوله تعالى : ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ﴾ [الجاثية ٢٥]

الثاني : "أن يكون الدعوى رفعًاو" أن قالوا" نصبًا كقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [البقرة ١٧٧]على قراءة من رفع" البِرَّ" لأنّه إذا لم تكن قرينةٌ لفظيّةٌ ولا معنويّةٌ تبيّن الفاعل من المفعول وجب تقديم الفاعل وتأخير المفعول، نحو :ضرب موسى عيسى، وكان وأخواتها مشبّهةٌ في عملها بالفعل الّذي يتعدّى إلى واحد، فكما وجب ذلك فيه وجب ذلك في المشبّه به وهو كان ودعواهم، وإلّا أن قالوا لا يظهر فيهما لفظٌ يبيّن الاسم من الخبر ولا معنى فوجب أن يكون السّابق هو الاسم، واللّاحق الخبر"[60].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [الأعراف ٤٣]الموضع الّذي به اشتراك هو جملة" تجْري" الّتي أدّى خفاء العلامة الإعرابية عنها إلى احتمالها أكثر من وجه، فقد تأتي حالًا، والعامل فيها " ونَزَعْنا" أو أن يكون العامل فيها معنى الإضافة، وهو مذهب الحوفي وأبي البقاء،[61] .وقام أبو حيّان بردّ كلا القولين؛ " لأنّ" تجري" ليس من صفات الفاعل الّذي هو ضمير" نزعنا" ولا صفات المفعول الّذي هو" ما في صدورِهِم" ولأنّ معنى الإضافة لا يعمل إلّا إذا كانت إضافةً يمكن للمضاف أن يعمل إذا جرّد من الإضافة رفعًا، أو نصبًا فيما بعده؛ لذا جوّز أن تأتي خبرًا مستأنفًا عن صفة حالهم"[62].

الإضافة إلى ياء المتكلّم

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرا مِّنْ أَهْلِى﴾ ﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾ [طه ٣٠-طه ٢٩]

في هذا الموضع يأتي اتصال كلمة" أخي" بياء المتكلّم سببًا لجعلها حمّالةً لأكثر من وجه أعرابيّ، وذلك على النّحو التّالي:

- بدل منصوب من "هارون"، فيكون ﴿لي وزيرًا﴾ مفعولين لاجعل، أو أن يكون ﴿وزيرًا﴾ و"هارون" مفعوليه، وقدّم الثّاني اعتناءً بأمر الوزارة.
- عطف بيان، وهو قول الزمخشريّ؛ "فهو يرجّح الوجهين :البدل وعطف البيان"[63]، لكنّ أبا حيّان ردّ ذلك بقوله ":ويبعد فيه عطف البيان؛ لأنّ الأكثر في عطف البيان أن يكون الأوّل دونه في الشّهرة، والأمر هنا بالعكس"[64].
- مبتدأ مرفوع فيمن قرأ على لفظ الأمر﴿واشدد ﴾ به " أن يجعل أَخِي مرفوعا على الابتداء :واشْدُدْ بِهِ خبره، ويوقف على هارونَ"[65] .

وهذا الوجه ردّه أبو حيّان أيضًا؛ لأنّه خلاف الظّاهر فلا يصار إليه لغير حاجةٍ[66] ، وهذا ما يميّز أبا حيّان؛ فهو لا يذهب إلى تأويلاتٍ جديدةٍ إن كان المعنى يستقيم بظاهر الكلام، والباحثة توافق معه في ردّ هذا الوجه، وتناصِر احتمالية النّصب على البدلية، فإن هارون وأخي متطابقان؛ فالأولى النّصب على ما هو ظاهر.

ومن المواضع الّتي يؤدّي فيها اتّصال الاسم بياء المتكلّم وخفاء العلامة إلى الإعرابيّة اشتراكًا نحويًّا، قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص ٢٣]، فقد جوّز ابن عاشور" أن يكون" أَخي" بدلًا من اسم الإشارة،

(55) انظر: أبو زكريا الفرّاء، معاني القرآن، 372/1

(56) انظر: الزجّاج، معاني القرآن وإعرابه، 319/2

(57) انظر: أبو جعفر النحاس، معاني القرآن، 600/1

(58) انظر: الزمخشري، الكشاف، 67/2

(59) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 425/5

(60) انظر: أبو حيان، البحر المحيط 270/4

(61) انظر: أبو البقاء العكبري، التبيان في إعراب القرآن، 568/1

(62) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، 301/4

(63) انظر: الزمخشري، الكشاف، 61/3

(64) انظر: أبو حيان، البحر الحيط، 225/6

(65) انظر: الزمخشري، الكشاف، 61/3

(66) انظر: أبو حيان، البحر المحيط 225/6

فيكون في محل نصب، ويجوز أن يكون مرفوعًا لخبر" إنّ" هو الأولى؛ لأنّ فيه زيادة استفظاع اعتداء أخيه عليه"[67]. أمّا عند ابن عطيّة[68] فهو عطف بيان، وبدلٌ أو خبرٌ ل" إنّ" عند الزّمخشريّ[69].

من خلال الأمثلة الّتي أوردناها في هذا المبحث، يستدلّ أن خفاء العلامة الإعرابيّة، الّتي تأتي لعوامل مختلفة، مثل: البناء، السياق التركيبي، الاسم المقصور،... يشكّل باعثًا مركزيًّا لتعدد الأوجه النحوية، والّتي تسهم في انفتاح الدّلالة على معان متعدّدة، تثري النّص القرآني وتزيده سعةً وجمالًا.

الخاتمة

1- يأتي خفاء العلامة الإعرابيّة من العوامل المؤدّية إلى تخلق ظاهرة المشترك النحوي بعامّة، وفي التنزيل العزيز بشكل خاص، الامر الّذي يحدث تعدّدًا في المعاني، وبناءً عليه يحتاج العامل في تفسير كتاب الله إلى فهم المعنى الّذي تؤدّيه الكلمة؛ كيلا يلبس عليه المعنى فيخطئ في فهم النصّ الشريف.

2- تتلخّص المواضع الّتي تؤدّي إلى خفاء العلامة الإعرابيّة، وتخلّق ظاهرة تعدّد المعان في القرآن الكريم، في:

- حالة البناء، حيث أنّ الاسم المبني تأتي علامة آخره ثابتة، ولا تتغيّر بتغيّر الحالة الإعرابيّة للكمة، ممّا يؤدّي إلى جعل الكلمة حمّالة لأكثر من وجه أعرابيّ في بعض المواضع.
- اختتام الكلمة بالألف المقصورة، يؤدّي إلى تعذّر ظهور الحركة في آخرها، مما يجعلها مشتركًا نحويًّا لعدة وجوه.
- إضافة الاسم إلى ياء المتكلّم يشكّل هو الآخر أحد بواعث هذه الظاهرة.

3- اهتمّ أبو حيّان بهذه الظاهرة، إلى جانب اهتمامه ببواعث أخرى أدت لتعدد الوجوه الإعرابية في القرآن الكريم، من خلال تفسيره" البحر المحيط" وبيّن المعاني المحتملة على كل وجه، وهذا ما ذهبت إليه الباحثة.

المصادر

- البغدادي، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، ***السبعة في القراءات***، تحقيق شوقي ضيف، ط2، دار المعارف مصر، 1980.
- ابن جني أبو الفتح عثمان (392 ه)، ***اللمّع في العربية***، تحقيق فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، د، ت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (392ه)، ***الخصائص***. تحقيق محمد علي النجار، ط3، الهيئة المصريّة العامّة للكتب، دار الشؤون الثقافيّة، بغداد، 1990.
- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف، (745 ه)، ***تفسير البحر المحيط***، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993.
- ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن احمد(370 ه)، ***الحجة في القراءات السبع***، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
- الزجّاج، أبو إسحق إبراهيم بن السري(ت 339ه)، ***معاني القرآن وإعرابه***، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988.
- الزمخشري، أو القاسم محمود بن عمر(538 ه)، ***المفصل في علم العربية***، تحقيق: فخر صالح قدارة، ط1، 2004، (د.ن).
- الزمخشري، أو القاسم محمود بن عمر(538 ه)، ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل***، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1977.
- السعيدي، أحمد خضير عباس العلي، قرينة العلامة وأثرها في توجيه المعنى في تفسير البحر المحيط، ***مجلّة جامعة ذي قار***، العراق، 31.12.2012
- السمين الحلبي، ***الدر المصون في علوم الكتاب المكنون***، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، (180ه)، ***كتاب سيبويه***، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988.
- السّيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر،(911 ه)، ***بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنّحاة***، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، لبنان، (د.ت).
- عرار، مهدي، ***المشترك اللّغويّ في القرآن الكريم***، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2012م.

(67) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 231/24

(68) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، 333/7

(69) انظر: الزمخشري، الكشاف، 5/255

- ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (546 ه)، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تحقيق عبد السلام محمد، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، (616 ه)، ***التبيان في إعراب القرآن***، تحقيق علي البجاوي، ط 2، دار الجيل، بيروت، 1987.
- غول سمية، وفايزة حريزي، الدلالة النحوية في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي، سورة الإسراء أنموذجًا، ***دفاتر البحوث العلمية***، المجلد 11، عدد 1، 2023/06/01
- أبو الفداء، عماد الديم إسماعيل بن علي(ت 732)، ***المختصر في أخبار البشر***، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، مصر، (د. ت).
- الفراء أبو زكريا يحي بن زياد، ***معاني القرآن***، تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجا.
- النحاس، أحمد بن محمد (ت 338 ه)، ***إعراب القرآن***، تحقيق زهير زاهد، ط 3، عالم الكتب، بيروت، 1988.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (285 ه)، ***المقتضب***. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ط 1، عالم الكتب، بيروت، 1968.
- مكي، بن أبي طالب القيسي (347 ه)، ***مشكل إعراب القرآن***، تحقيق أسامة عبد العظيم، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010.
- ابن يعيش، موفق الدين (643 ه)، ***شرح المفصل***. تحقيق أحمد السيد أحمد، عالم الكتب، بيروت، د.ت.